المنزل والمدينة

للأستاذ سلامه موسى

المنزل هو المبنى . والبيت هو المعنى . أو قل إن المنزل هو الجدران والنوافذ والأثاث. والبيت هو الاجتماع العائلي ورابطة الحب والولاء والمصلحة بين أعضاء العائلة .

والانسان اجتماعي يهنأ بالاجتماع ويشقى بالاعتزال حتى حين يكون الاجتماع والاعتزال معنويين . فاننا نحب ألا نخرج عن رأى الجماعة التي نعيش معها . واذا خرجنا فاننا نحاول أن نحملها على أن تأخذ برأينا لأننا لا نطيق هذا الاعتزال المعنوى. وكذلك نكره أن نقيم منفردين. بل نحن حين ننفرد تبقى أفكارنا وعواطفنا متصلة بالجماعة .

والبيت هو نواة المجتمع . وأول آمال الشباب من الجنسين هو تأليف البيت بالزواج والتناسل . ولذلك فان للمنزل قيمة اجتماعية وهو يثير عواطف مختلفة بارة تتصل بهناء المعيشة والحياة الزوجية وتربية الأولاد والوجاهة والضيافة وما الى ذلك من معان اجتماعية.

ولهذا السبب عنيت بعض الأمم بحرمة المنزل الذى يسكنه صاحبه. مهما بلغت الديون التي وقع فيها فان الدائنين لا يمكنهم أن يوقعوا الحجز على منزله أو أثاثه ويبيعوه جزاء لديونهم. فالمنزل عند هذه الأمم قد ارتقى من المبنى الى المعنى . فهو بيت. وهو عش العائلة التي يجب ألا تتشتت بضغط الفاقة وتتفكك روابطها الاجتماعية بخروج منزلها من أيديها .

والمتأمل لحياة المجرم يجد أن من أعراض مرضه — اذا حسبنا الجريمة مرضا — أنه قليل الروابط الاجتماعية . فهو أكثر ما يكون أعزب قد حرم من الرابطة الزوجية . أو هو متزوج ولكن قد حرم الأبوة . أو هو نازع الى الانفراد والاعتزال يكره الاجتماع فلا يصادق ولا يزامل . وقد تنشأ هذه النشأة لسوء فى تربيته أو لمزاج شاذ لم يحسن توجيهه . أو هو لا يملك عقارا . والانتحار من الجرائم التي تدل قبل كل شيء على ضعف الروابط الاجتماعية . ثم يلي ذلك سائر الجرائم .

فللمنزل هنا قيمة اجتماعية. لأنه يربط صاحبه بالمجتمع من ناحية ربطه بالمدينة . اذ هو يكسب حقا وجاها واحتراما ويغرس فيه أملا . فهو لا يبعثر نقوده ويستهلك كسبه فى الملاهى والتسليات ولكنه يوفر ويدخر لكي يزين هذا المنزل ويزيد أثاثه . لأن المنزل قد

صار بعض كرامته ووجاهته الشخصيتين . فهو يجد فى نفسه إحجاما عن ارتكاب الرذيلة والجريمة . وهو لا ينفق على الخمر والتدخين لكى يوفر ماله لاصلاح منزله وتزيينه .

ومن هنا أخذت الحكومات المتمدنة فى العصور الحديثة تشجع الأفراد على اقتناء المنازل ، ووضعت شروطا للتيسير فى اقتراض المال للبناء وردالقروض على آجال طويلة ، وأحيانا تبنى الحكومة المنزل وتبيعه بالتقسيط ، وأحيانا تقرض الشركات البنائية ملايين الجنيهات لكى تقوم هى بالبناء ثم تبيعه لمن يرغب فى الامتلاك .

وأعظم ما يؤخر بناء المنازل هو المضاربة بالأرض والمغالاة فى أثمانها ، وقد بصرت المجالس البلدية فى أوربا بهذه الحال وتفادت منها بشراء الأرض الزراعية التى حول المدن. وهى تشتريها بأثمانها الزراعية ثم تتركها نحو أربعين أو خمسين سنة ملاعب ومتنزهات وحدائق لسكان المدينة حتى اذا نمت المدينة و بلغ البناء هذه الأرض باعها المجلس البلدى بالتيسير الذى ذكرنا الى من يرغب فى البناء . و ذلك يقطع الطريق على المضارب الذى يشترى الأرض زراعية بالفدان ثم يبيعها بالمتر للبناء و يأخذ الفرق العظيم بين الثمنين ، مع أن هذه الزيادة يجب أن تعود على المدينة الممثلة فى المجلس البلدى . لأن نمو المدينة وحده هو الذى جعل الأرض تنتقل من الزراعة الى البناء وتزداد أثمانها نحو مئتى ضعف .

وكلنا فى مصر يعرف ذلك المنزل السيئ الذى لا يطاق الحر فى الصيف ولا توجد به أية وقاية من البرد فى الشتاء . وهو ذلك المنزل الذى يفرمنه الشبان الى القهوة أو النادى عصر كل يوم . وهو من الضيق بحيث يصبح الأطفال فيه وكأنهم عبء على أنفسهم وعلى آبائهم لأن حرج المكان يجعل أصواتهم وألعابهم وحركاتهم مزعجة . ثم هناك قتامة البناء ونصول الطلاء والبلى العام الذى يكمد النفس و يغم على العقل و يبعث على الشجار . ولا نذكر تلك الكهوف — البدرومات — التى تجعل ألوفا من عمالنا يعيشون مع عائلاتهم فى الظلام والرطوبة والمرض كأنهم قد ارتدوا الى العصر الحجرى ولم يتمتعوا مع ذلك بشىء من ميزاته .

وقد أعجبنا لهذا السبب بالفكرة البارة التى عمد اليها بعض الزنوج فى الولايات المتحدة . فانهم يقصدون الى منازل اخوانهم من فقراء الزنوج و يرممون المحطم من أبوابها ونوافذها ثم يطلون الجدران بالألوان الزاهية التى تقشع غيمة الكآبة التى تخيم على المنزل من البلى والتحطم. وما أحرانا بأن نفكر فى مثل هذا البر لأحيائنا الفقيرة .

ومع أن لندن وكثيرا من المدن الانجليزية قد حطمت الطائرات الألمانية معظم منازلها فان الانجليز لا يرون أن هذا التحطيم يعد كله شرا . لأنهم ينتظرون منه الخير فى إعادة البناء فى هذه المدن على الطراز العصرى حتى يستكمل المنزل جميع الوسائل للرفاهية البيتية وتستكمل المدينة جميع الشروط العصرية لتيسير الحركة والتنقل . والانجليز — مثل سائر الأمم الشمالية —

أكثر الأمم عناية بمنازلهم وبالتضامن المدنى فى البناء حتى أن السائر فى احدى المدن الانجليزية أو الهولندية أو الألمانية يجد الشارع شكلة وحدة لا يختلف منزل من آخر عرضا وارتفاعا أو زينة أو طرازا . وقد يدخل أحدنا منزل عامل من العمال الفقراء فيجد المرحاض مفروشا بسجادة صغيرة. ومع هذه الحال يفكر الانجليز فى إعادة بناء منازلهم بعد الحرب على طراز أجمل وأرق . وقد كان الحريق الهائل سنة ١٦٦٦ فى لندن سببا لتجديد هذه العاصمة. ولذلك يعود الانجليز الى هذا التاريخ لكى يذكروا الفرصة القادمة فى تجديد العاصمة بعد الحرب . لأن تدمير الطائرات مثل تدمير الحريق يجب أن يكون فرصة للتغيير والاصلاح .

ويجب أن تكون لنا عبرة فى مصر بالقيمة العظمى للمنزل الحسن الذى يغرى ساكنيه بالإقامة والافتخار به وتزيينه ويربطهم بالمجتمع من حيث انه يزيد كرامتهم ويشغل أذهانهم بهموم انشائية تحول بينهم وبين التبذير فى اللهو . فيجب أن نساعد على إيجاد حركة بنائية عامة تقرضها الحكومة قروضا مقسطة على آجال بعيدة بلا فائدة . كما يجب أن تتناول هذه القروض اصلاح المنازل القديمة البالية . وليس من المبالغة فى الطمع أن نطلب منع الحجز على المنازل اذا كان أصحابها يسكنونها. فاننا نحاول فى مصر ايجاد عائلات متماسكة . والمنزل الحسن هو أقوى الأسباب لهذا التماسك .

وعند ما يؤسس المجلس البلدى المنشود للقاهرة ويكسب هذه القرية الضخمة حياة مدنية فاننا نطمع فى أن يشرع فى شراء ماحول القاهرة من أرض زراعية لكى يبيعها أو يبنى عليها المنازل الرخيصة . فان أعظم ما يؤخر نمو هذه العاصمة فى الوقت الحاضر ويجبر السكان على التكدس فى أحيائها الوطنية كالسردين فى العلب هو غلاء الأرض حولها وعجز المتوسطين عن شرائها .

ان البيت هو الوحدة الاجتماعية للامة . والهيكل العظمى للبيت هو المنزل . فيجب أن نعنى ببناء المنازل أحسن البناء وأن نحميه بكل وسائل الحماية وأن نشجع الأفراد على البناء وعلى امتلاك المنازل . لأننا بذلك نوجههم توجيها مدنيا ونباعد بينهم وبين الخروج على المجتمع .

سلامه موسى